مؤشرات التنمية البشرية في الحراك الحسيني

الأستاذ المساعد الدكتور
راغدة محمد المصري
الجمهورية اللبنانية
الجامعة اللبنانية ـ كلية الآداب والعلوم الانسانية
raghidamasri@gmail.com

تفتقر البحوث الفكرية المعاصرة، للحداثة وما بعد الحداثة، إلى الدراسات المقاربة بين القضايا الكونية والموروث الإسلامي، في وقت يشهد فيه العقل المسلم تحديات كبيرة من: تبعية وتقليد وجمود وتطرف وحرب ناعمة، فبات من الضروري توظيف المصطلحات الإسلامية، والرقي إلى درجة المسؤولية في فهم الموروث الثقافي، للتصدي للتحديات الراهنة والاجابة على الاشكاليات المستجدة.

يعدّ القرآن الكريم وتراث أهل البيت عليهم السلام من أهم مصادر الفكر الإسلامي، لصياغة ثقافة إسلامية معاصرة ومواجهة التحديات المستجدة.

يأتي هذا البحث لتبيان الأصالة الإسلامية واظهار مفهوم التنمية البشرية في الموروث الثقافي الامامي وذلك من خلال اشكالية مؤشرات التنمية البشرية في الحراك الحسيني.

مفهوم التنمية Development:

التنمية في اللغة مصدر من الفعل (نمّى). يقال: أنميت الشيء ونمّيته: جعلته ناميا[1]. التنمية إصطلاحاً يراد بها زيادة الموارد والقدرات والإنتاجية. ويستعمل للدلالة على أنماط مختلفة من الأنشطة البشرية، مثل: التنمية الاقتصادية Economic Development ، والتنمية الاجتماعية Development Social، والتنمية البشرية Human Development. عرّف تقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي التنمية البشرية أنها "عملية توسيع اختيارات الشعوب"[2].

التنمية البشرية في الاسلام:

ترتكز التنمية في الإسلام على الإنسان باعتباره الهدف والغاية لبرامجها المختلفة، فهو

خليفة الله في الأرض دون غيره من سائر المخلوقات، اختاره الله سبحانه وتعالى لمهمة الاستخلاف في الأرض انطلاقا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: ٣٠.

وهذا الاستخلاف يقتضي قيامه بدوره كما أُمر، من خلال تنمية مكونات الإنسان الإيمانية والنفسية والعملية، وهي السمة الأساسية للتنمية البشرية التي تتحقق وتتفاعل في الاسلام من خلال ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: الإنسان صانع الحدث والمؤثر فيه، وهو محور التنمية والاعمار في القرآن، حيث تجسد الافعال نبضاً حياً لسلوك الأفراد والشعوب في تفاعلهم مع محيطهم: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ .هود: ٦١.

والتنشئة: تأتي بمعنى: التربية والزيادة والإيجاد والتنمية قال ابن منظور "نشأ ينشأ.. ربا وشب، وارتفع".[٣] تستعمل التنمية البشرية اليوم مصطلح التزكية، كأحد معانيها، فهي تريد التنمية للإنسان دون تطهير نفسه، مما ينمي الإعجاب والكبر وحب الذات والغرور في نفسه، عكس مقومات التنمية البشرية في الاسلام التي تزكي النفس الإنسانية قبل التعليم ومحو الجهل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. الجمعة:٢.

تظهر مواثيق الأمم المتحدة وتقارير برامجها الإنمائية أنه لا تنمية بدون إنسان، وقد عرفت بأنها " تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس"[٤].

و"تنمية الناس" اي تطوير قدرات الانسان لتمكينه من العمل والانتاج والإبداع، و"من أجل الناس "فالإنسان هو الهدف والغاية. و" بواسطة الناس" والوسيلة والأداة، وأن من حقه المشاركة فيها قصد الاستفادة من عوائدها. إن التركيز على الإنسان كوسيلة وغاية في التنمية البشرية، يمنح صفة الاستمرارية لها، لأن الإنسان هو الحاضر والمستقبل.

العنصر الثاني التمكين: كلّف الله سبحانه وتعالى الإنسان بهذه المهمة العظيمة للقيام بدوره في الأرض وهيأ له سبل القيام بهذه المهمة ومكّن له في الأرض بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ الأعراف: ١٠.

فالتمكين يعني السيطرة والقدرة والتحكم. فالأرض هي البيئة الاساس لعمليات التنمية والاعمار عن طريق اتخاذ الانسان القرار والتحكم في مواردها.

أصبح مفهوم " التمكين " (Empowerment) من المفاهيم الرئيسية في تصور مقومات التنمية المستدامة، فالمشاركة في القرار تتيح الوصول إلى خيارات أوسع، وهي ضرورية لتحسين نوعية الحياة السياسية والضغط على الحكم ليستجيب لمطالب الشعب، وهي عنصر هام لما يسمى " الحاكمية " أو " حسن الإدارة " (Governance)، أي جدية أسلوب الحكم في التعامل مع المجتمع على أساس الحوار بين الحاكم والمحكوم، ووجود أدوات المراقبة والمحاسبة وآليات سليمة لاتخاذ القرارات، وتعديلها ويتفرع عنه مبدأ المساءلة (Accountability). وتعني قابلية تحمل المسؤولية من قبل أصحاب القرار بشفافية ويقدمون المعلومات الكافية لتقييم القرارات المتخذة ونتائج تنفيذها على المجتمع بكل فئاته، وهم يقبلون بالتنحي عن المسؤولية في حال ارتكابهم أخطاء في ممارسة الحكم واتخاذ القرارات(٥).

العنصر الثالث البيئة: وهي الأرضية التي يتحقق عليها الفعل ويتأثر بشروطها ومواصفاتها. فلا يمكن أن تتم عملية إعمار إلا بإنسان قادر ومهيأ بالإيمان والعلم والفكر والمهارة التي تمكنه من القيام بها، لذلك يرتكز جوهر التنمية البشرية على تطوير وتنمية الإنسان بجميع مكوناته النفسية والعملية، وتنمية موارده الاقتصادية، ليعيش حياة طيبة كريمة، حيث قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. النحل: ٩٧.

التنمية البشرية في الحراك الحسيني:

لم يكن الحراك الحسيني حدثًا تاريخيًا مجردًا، بل حمل معطيات فكرية وأخلاقية، ورسالية استهوت القلوب والضمائر الحرة، في امكنة وازمنة مختلفة بعيدا عن اي صبغة مذهبية او دينية."إن ثورة الحسين، ليست صرخة اعتراضية على حالة تاريخية محددة، مكتفية بأهدافها ومكانها وزمانها.. وليست ثورة حسينية، شيعية حصرية وكفى... وليست ثورة إسلامية، جامعة عامة وكفى...إنها ثورة إنسانية شاملة مطلقة، تعني كلّية الإنسان، جوهراً

وروحاً وقيماً، كياناً وكينونة في كل آن ومكان. إنها ثورة ترسم هداية الطريق البشري، في منطلقاته وأبعاده، مثالاً عالمياً للأزمنة والأجيال. هكذا الدعوات والرسالات، بالتضحية تنتصر وبالشهادة تنتشر"...[٦].

فالحراك الحسيني نهضة عالمية مستمرة في كل مكان تنتهك فيه الحقوق وتهدر القيمّ، فهو مبعث المعرفة في إطار حركة المجتمع، ومحرك الأفراد والجماعات، من خلال الوعي بمفهوم الحرية والظلم والعدوان والمقاومة، والمدخل الصحيح لفهم كيفية مواجهة الاستبداد والإرهاب ومسعى الفرد الواعي بذاته وبالآخر.

استمدّ بعده الزمني بعنصري الاستمرار والتجدد، لما حواه من قيمّ اسلامية عالية منذ لحظة وقوعه، إلى اليوم وحتى المستقبل، مما اعطاه صبغته العالمية لحركات ثورية متعددة، كتجربة غاندي الذي يقول" تعلمت من الحسين كيف اكون مظلوما فانتصر".

رسم الامام الحسين عليه السلام أسباب حراكه والتصدي للسلطان الجائر بقوله:

((مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلاً لحرَمِ اللّه، نَاكِثًا لعَهْد اللّه، مُخَالفًا لسُنّة رَسُول الله، يَعْمَلُ فِي عِبَاد اللّه بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْه بِفِعْلٍ وَلا قَوْل، كَانَ حَقًّا عَلَى اللّه أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ، أَلا وَإِنَّ هَؤُلاء قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأَحَلُّوا حَرَامَ اللّهِ، وَحَرَّمُوا حَلالَهُ، وَأَنَا أَحَقُّ من غيري))[٧].

ففي هذا النص خطاب عام لكل الناس وليس خاص بعهده بل في كل زمان ومكان: " مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا"، و حدد افعال الحاكم الظالم واعوانه.

- "يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
- أَظْهَرُوا الْفَسَادَ
- وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، أي القوانين
- وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ، بما يفيء به الله على المسلمين وعلى الناس

يبيّن لنا هذا الخطاب أن الحراك الحسيني ونهضته تنموي يشمل الجوانب:

الاجتماعية: لمحاربة الفساد والظلم وتحقيق الامن والعدالة.

١- الاقتصادية: الفيء الذي يعبر عن ميزانية الدولة الإسلامية

٢- الحقوقية: اقامة القضاء، وتبيان دور الفرد بعملية التغيير فواجب عليه ان يطالب بحقوقه، ويعبّر عن رأيه، ويقف في وجه الحاكم المستبد قولا وفعلا.

٣- الارشادية الاصلاحية للعودة الى الدين الحنيف فهم ((أَحَلُّوا حَرَامَ اللَّه، وَحَرَّمُوا حَلالَهُ)).

إن أولى المؤشرات التنموية في الحراك الحسيني عليه السلام ظهرت بتحديد أهداف خروجه بقوله: **"وإنّي لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً، ولا مُفسِداً ولا ظَالِماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جَدّي صلى الله عليه وآله، أُريدُ أنْ آمُرَ بالمعروفِ وأنْهَى عنِ المنكر، وأسيرُ بِسيرَةِ جَدّي، وأبي علي بن أبي طَالِب فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق ومن ردّ عليّ اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق"**[٨].

فقد حدد خروجه للإصلاح في أمة جدّه، وتحقيق العدالة الاجتماعية، ووسائل الحراك التي سيعتمدها:

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- السلمية: سيعتمد الصبر إلى أن يقضي الله بينه وبينهم.
- المعيار الاساسي: الحق.

ونستنتج من هذا العرض أن الحراك الحسيني بابعاده المختلفة يتفق مع مؤشرات للتنمية البشرية منها:

- مؤشر مستوى جودة الحياة في داخل المجتمع.
- مؤشرات الحكم الرشيد Good Governance المرتبطة به والتي تخص الأداء
- مؤشر مدركات الفساد Corruption Preception Index
- المؤشرات المتصلة بالاستقرار الإداري في داخل الدولة

ويتبين لنا أنّ الاسلام سبّاق في هذا المجال، بينما أخذ الاهتمام بموضوع التنمية البشرية مع بداية العقد الأخير من القرن الماضي، ووضع تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩١ لأول مرة "دليل التنمية البشرية" مكونا من أربعين معيارا من معايير حقوق الإنسان التي تركز على التحرر من الخوف والفقر والتمييز العنصري. وربط تقرير التنمية البشرية لسنة ١٩٩٢، العلاقة بين التنمية البشرية والحرية السياسية معتمدا في ذلك على خمس حريات أساسية وهي: سلامة الفرد الجسدية، سيادة القانون، حرية التعبير والرأي، حرية المشاركة السياسية، ثم تكافؤ الفرص.

واعتبر الأمن الشخصي في مقدمة الحريات السياسية، ويتضمن الاعتقال والاحتجاز التعسفي. [٩] أصبحت مسألة الحرية تشكل مركزا استراتيجيا في التنمية البشرية، إذ لا يمكن إطلاقا تصور تنمية بشرية دون وجود الحرية [١٠]، لذلك تستلزم إزالة جميع المصادر الرئيسية لافتقاد الحريات وهي الفقر والاستبداد، وشح الفرص الاقتصادية والحرمان الاجتماعي المنظم، وإهمال المرافق والتسهيلات العامة، والغلو في حالات القمع.

شكلّ التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠ نقلة نوعية في ربط التنمية البشرية بحقوق الإنسان، وجعل حقوق الإنسان قضية محورية في أي مبادرة تنموية، وأكد أنها منظومة متكاملة ومتماثلة، ولا يمكن أن تخضع للانتقاء أو التفريط في أي جزء من أجزائها.

مؤشرات التنمية والقيمّ الحسينية.

تتجلى في الاسلام المثل الإنسانية النبيلة والرقي الخلقي، لتشكل مجموعة قواعد عملية تنظم التعامل البشري، بمختلف جوانبه ومستوياته. وتمكن الإنسان من سير والارتقاء في مسيرته إلى الكمال، والّتخلق بالأخلاق الالهية: كالرحمة والمحبة والعدالة، وغيرها من الصفات العالية ويعيش بأمن واستقرار و يتطور نحو الأفضل.

وقد قال الله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ الأنعام: ١٦١.

ورسم معالم قواعد التواصل وفق منهج حضاري متكامل وبيّن اساليبه:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. الحجرات: ١٣.

فطرق وأساليب التواصل:

- الحكمة.

- الموعظة الحسنة.

- الجدال بالتي هي احسن استشهاده.

الحوار الحسيني والنصيحة:

اعتمد الامام الحسين عليه السلام الحوار والمنطق والحجّة والنصيحة، كأدوات سلمية لحراكه والعلاقة مع الآخر، في مواقف عدّة منها:

- رجال السلطة الأموية: كخطاب الإمام الحسين عليه السلام إلى والي المدينة: "إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة"(١١).
- تذكيرهم بالكتب المرسلة إليه والعهود التي قطعت له بالنصرة، والمواثيق والعهود ثمّ نكثوا. منها رسائل أهل الكوفة ورسلهم حتى أن الإمام احتج بها عندما واجه الحر بن يزيد الرياحي وعمر بن سعد عندما سألاه عن سر مجيئه إلى العراق فقال: " **كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم**" (١٢).

حرص على مَدّ جسور التفاهم مع أعدائه بالكلمة وبمواقف مختلفة:

- عقد مباحثات مطولة مع قادة الجيش المعادي. كما عمل على ترسيخ مبدأ التسامح والرحمة وتقبل الآخر، عدم البدء بالعدوان حتى وان اتضحت جلياً نوايا المقابل في الإعتداء، وتجلت هذه الصفة في طريقة إلى كربلاء التقى بأحد ألوية جيش ابن زياد وكان ألف مقاتل مع خيولهم وكانوا عطاشى، فأمر اتباعه بسقي الجيش والخيل وقال لهم: "**اسقوا القوم وارووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفا**".
- طلب من اصحابه التزام الحوار كحال العباس عليه السلام وأخوته،عندما نادهم الشمر قبل المعركة فقال لهم عليه السلام: "**أجيبوه وان كان فاسقاً**".

- وعظهم قبل بدء المعركة: "أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم عليّ وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدَّقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ (يونس:٧١) ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (لأعراف:١٩٦)[١٣].

مؤشر تكريس المشاركة السياسية وحرية الاختيار

إن الإمام الحسين عليه السلام وبالرغم من سلطته الزمنية والروحية، كان يحثّ الناس على المشاركة السياسية، والانتقاد ويشجعهم على الاعتراض الذي ينطلق من أساس الحق بشرطيه:

الأول: الإصلاح.

الثاني: حسن التشخيص

أي يكون الاعتراض مبنياً على اساس من الإدراك والتشخيص الصحيح، ليكون له الأثر البالغ في الإصلاح. وعمل على تكريس المشاركة السياسية وتجذير مبادئ حقوق الإنسان والمساواة وحفظ كرامة الإنسان المشاركة بتركيز السلام والاستقرار، من خلال:

١- رفض التوريث السياسي، وعدم الاعتراف بشرعية يزيد بن معاوية في الخلافة.

٢- المشاركة في القرار السياسي وطلب اهل العراق من خلال رسائلهم له، وقد قصدهم بناء على ذلك.

٣- ترك حرية الاختيار لأصحابه اكثر من مرة، كعندما سمع باستشهاد مسلم قال عليه السلام "**من أحبّ منكم الإنصراف فلينصرف غير حرج**"[١٤].

وليلة عاشوراء: "**وإنّي قد أذنت لكم جميعاً فانطلقوا في حلّ ليس عليكم مني ذِمام... فإنّ القوم يطلبونني**"[١٥].

فتح الحراك الحسيني آفاقاً جديدة في فهم حقوق وواجبات الفرد داخل الدولة، إذ برز

فيها عدم فرض قيود على الآخرين مما يتيح تحول الأفراد والمجموعات لمزيد من التمدن ويؤصل من قيمة الحرية.

إن تعزيز التسامح بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، يدفع إلى الوئام في سياق الاختلاف، وهو ليس واجباً أخلاقياً فحسب وإنما هو واجب سياسي وقانوني أيضاً وهو الفضيلة التي تسهل قيام السلام ويسهم في إحلال ثقافة السلام عن ثقافة الحرب(١٦).

مؤشر نبذ العنف ومنع سفك الدماء:

أكد الاسلام على مسألة السلم والسلام والقيم الناظمة للعلاقات الاجتماعية في مجال تحقيق الأمن النفسي، ودعى للتعافي والتصالح والعلاقة القائمة على الاحترام المتبادل والمحبة والوئام والثقة.

إن لجم القوة والتسلط لدى الفرد والتفكير بطريقة متعايشة محبة للآخرين يدعو لمزيد من تشذيب سلوكياتنا وتقنينها - أخلاقياً - نحو الحقوق والواجبات التي تؤطر حياتنا. إن التبادل الأخلاقي مع الآخرين، وفكرهم ينطوي على صناعة وتأصيل الوعي المتزايد، ويشكل خلفية ثقافية ناهضة تقبل على قراءة وتفحص ما يتبناه الآخر المختلف كما يتفحص الآخرون فكرنا، مما يثري الساحة ويحدث موجة من التلاقح الفكري والحيوي الثقافي.

أحجم الامام الحسين عليه السلام عن إصدار أوامر القتال حرصا منه على حقن دماء المسلمين. وظهر ذلك من خلال:

١- خروجه من المدينة ومكة كي لا تستباح حرمتهما، وكان يقول لمن طلب منه الالتجاء إلى مكة: "**إنّ أبي حدثني أنّ لها كبشاً به تستحل حرمتها فما أحبّ أن اكون أنا ذلك الكبش**"(١٧).

٢- وقال لعبد الله بن الزبير: "**يا أبن الزبير لأن ادفن بشاطئ الفرات أحبّ اليّ من أن ادفن بفناء الكعبة**"(١٨).

٣- دعوة جيش السلطة وقادته العدول عن قتله عندما صار الامام الحسين عليه السلام على مرحلتين من الكوفة، فاذا بالحر بن يزيد في ألف فارس. فقال له الامام

الحسين عليه السلام: ((**ألنا أم علينا؟**)) فقال: بل عليك يا أبا عبدالله. فقال: ((**لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**)). فحاوره، حتى قال له الامام الحسين عليه السلام: ((**فإذا كنتم على خلاف ما أتتني به كتبكم وقدمت به علي رسلكم، فإني أرجع إلى الموضع الذي أتيت منه**))[١٩].

مؤشر رفض البدء بالقتال:

رفض الإمام الحسين عليه السلام البدء بالقتال في أكثر من مكان:

١. في طريقه إلى كربلاء، كان قوله عليه السلام: "**ماكنت لأبدأهم بقتال**"[٢٠].

٢. في عاشوراء: وقف شمر أمام معسكر الحسين عليه السلام وبدأ يكيل السباب والشتم للإمام، فاراد مسلم بن عوسجة ان يرميه بسهم فقال له الإمام عليه السلام: "**لا ترمه فانّي اكره أن ابدأهم**"[٢١].

٣. الصلاة:

إن اقامة الصلاة في عاشوراء يعطي دلالة واضحة على الإيمان والصلاح والحرص على حقن الدماء، فقد عمل الامام الحسين عليه السلام ليلة العاشر من المحرم على تأجيل القتال عندما بدأ جيش العدو يزحف باتّجاه معسكره، فأرسل أخاه العباس بن علي عليه السلام، ليتفاوض مع القوم حتى يُرجئوا القتال إلى الغد، فقد قال لأخيه العباس عليه السلام: "**ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغُدوة وتدفعهم عنّا العشيّة، لعلنا نصلّي لربنا الليلة**"[٢٢].

كما صلّى صلاة الخوف قصرا يوم العاشر، وسهام الأعداء تنزل عليه بالرغم من استمهاله إياهم. فالإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء أقام الصلاة على أكمل وجه حيث تجسد الاصلاح فيها، لتنهى عن الفحشاء والمنكر بكل أشكالها.

مؤشر الحرية:

الحرية ذات تأصيل فقهي وعقائدي في الإسلام، تظهر جلياً في العلاقة التكاملية التي تربط مسألتي التوحيد والحرية، فالحرية وعدم إهدار الكرامة من القيمّ العليا التي تستحقان السعي إليها، وان كانت التضحية من أجلها بالنفس.

رفض الامام الحسين عليه السلام حياة الذلّ:

"ألا وان الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيهات منا الذّلة"(٢٣).

"لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء ولا أفر فرار العبيد"(٢٤).

كما طلب من أعدائه أن يعيشوا احراراً بقوله:

"إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم(٢٥)".

كان لا بد من الحسم العسكري بعد أن استنفد جميع الوسائل السلمية.

إن الحراك الحسيني هو محطة أساسية في التاريخ الاسلامي - الامامي، الذي ارسى قواعده الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، واستمر مع الامام علي عليه السلام، مرورا بصلح الامام الحسن عليه السلام، فتشكلت بذلك منظومة فقهية قانونية، تبني جملة من قواعد حقوقية سياسية، تنتج سلوكاً على مستوى حاجات المجتمع الإسلامي وتجدده الحضاري. وترسخ مفاهيم الحرية العدالة والسعي إلى التغيير والاصلاح، باعتماده الحوار وتكريس المشاركة السياسية وتجذير مبادئ حقوق الإنسان والمساواة بتركيز السلام والاستقرار والتسامح والرحمة وتقبل الآخر، كما سطر دروس خالدة في العزة والكرامة ورفض الذل، فاستلهم الثوار منه روح المقاومة والتحرّر.

إن الحراك الحسيني ثورة القيم الإنسانية،، دعوة للحوار و الوفاء بالعهد ورفض العنصرية والطبقية، صرخة مدوية عبر العصور لرفض الظلم والاستبداد والاستغلال، هي جذوة متقدة للثورة والعزة والكرامة خالدة أبد الدهر حيّة في القلوب.

إن الرصد المعرفي والعلمي الذي بيّنّا من خلاله شموليةَ التنمية البشرية في الحراك الحسيني، يحتاج إلى تلمس هذه المنهجية الحسينية ونشرها، و استخدامها كحل الإشكالات الأساسية والأزمات التي يعيشها الإنسان في عصرنا الحاضر.

إن الحاجة اليوم ملحة لتحقيق البناء الحضاري الاسلامي الاصيل في زمن العنف والتطرف، وازدياد الفجْوة بين الغرب والعالم الإسلامي، وكثرت الشُبهات والصور المُشَوَّشة عن المجتمع الإسلامي، نتيجة تراكُمات الواقع المُتَرَدِّي الذي تعيشه الأمَّة الإسلاميَّة، خاصة مع وجود مجموعات تكفيرية ارهابية شوهت معالم هويتنا الحضارية.

إن تكريس المشاركة والحوار في كافة مناحي الحياة يساهم بخلق مجتمع تنموي يزيل الحواجز النفسية بين لأطراف المتضادة، و يوقف مسلسل التكفير العشوائي، ويكشف نقاط الاختلاف والتوافق ويوفر أرضية التسامح لبناء جسور حول مختلف القضايا كما تفتح آفاق للتعاون لبحث مزيد القضايا المتنازع عليها.

إن عالمية الخطاب الحسيني عمل على استيعاب التعدّد، ليتحوّل إلى عامل دفع في إطار تنوّع بشري إيجابي، تهيمن عليه قيم البناء والعمارة بالانفتاح على النماذج الحضارية والأنساق الثقافية المختلفة، دون تفريط في أصالتها وتراثها وهويتها.

وفي الختام أنوّه بالجهد للقيمين على جائزة سيد الاوصياء لما في هذا العمل الابداع و التطوّر والتعامل مع النهضة الحسينية من كونها حدثاً تاريخياً، إلى محاولة جادّة لنقل عنصر التجدّد في قيمها. على أمل التوصل لصياغة بنية ثقافية سياسية، تهدف إلى إنتاج قيمّ من موروثنا الثقافي. لنلتقي حولها من جديد نوحد صفوفنا نحرر انفسنا واوطانا ومقدستنا. ونعيد قراءة التاريخ الاسلامي وصياغته من جديد بعيدا عن المذهبية والعصبية.

هوامش البحث

(١)ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت. ج١٤، حرف النون، ص٣٦٤.

(٢) الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية ١٩٩٢، ص١٢.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، حرف النون .

(٤) الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٣، ص٣. وقد ورد في تقرير التنمية ٢٠٠٨/٢٠٠٧ أن التنمية البشرية تتعلق بالناس.

(٥) عبد العزيز بن عبد الله السنبل، دور المنظمات العربية في التنمية المستدامة، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر التنمية والأمن في الوطن العربي (الأمن مسؤولية الجميع).
faculty.ksu.edu.sa/.../DocLib

(٦) جوزيف الهاشم،ابعاد الاستشهاد في ثورة الحسين، محاضرة ألقيت في محرم ١٤١٥هـ في مركز الإمام الخميني الثقافي. لبنان

(٧) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ج٣/٣٠٧.
(٨) العلامة المجلسي، بحار الانوار، مؤسسة الوفاء، ٣٢٩/٤٤.
(٩) الأمم المتحدة، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٢.
(١٠) أمارتيا صن، التنمية حرية: مؤسسات حرة، وإنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر، ترجمه شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، ماي ٢٠٠٤، ص١٦.
(١١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٧٠/٣.
(١٢) المصدر نفسه، ج٣/ص٣١١
(١٣) المفيد، الإرشاد، ٩٧/٢. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٣٩٩/ ١٩٧٩، ج٦٠/٤-٦١.
(١٤) المفيد،الإرشاد،٧٥/٢.
(١٥) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج ٤ص ٥٧-٥٨. مقاتل الطالبيين: ص١١٢.
(١٦) مايور، فيدركو مدير عام اليونسكو، صحيفة الاتحاد الإماراتية ١٩٩٧/١١/٤.
(١٧) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٣٨/٤.
(١٨) المجلسي، بحار الانوار، ٣٦٤/٤٤.
(١٩) ابن طاووس، الملهوف، ص١٣٧.
(٢٠) المفيد، الارشاد، ٩٦/٢.
(٢١) المصدر نفسه.
(٢٢) المصدر نفسه، ٩٠/٢.
(٢٣) ابن طاوس، الملهوف في قتلى الطفوف، ص١٥٦.
(٢٤) المفيد، الارشاد، ٩٨/٢، ابن الاثير، الكامل في التاريخ ص ٦١-٦٣.
(٢٥) ابن طاوس، الملهوف في قتلى الطفوف، ١٧١.